تجليات الأثر القرآني في تطور النقد العربي

د. عابد بوهادي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

ملخص

تعتبر مساهمة الدراسات القرآنية في تطور النقد العربي وإثراء البحث فيه من المواضيع التي تقتضي بطبيعتها استقصاء وافيا للظاهرة وتناولها عبر محطات النقد التاريخية الكبرى المختلفة، تبدأ بالمراحل الأولى لتفسير القرآن الكريم بغرض تبيين الموارد التي كان يعتمد عليها والخروج من ذلك إلى جداول كانت تغذيه بالمواد الضرورية لهذا النوع من الدراسة ، ومنها جدول اللغة والشعر. وذلك، منذ زمن الأصمعي إلى العصر الحديث لتشمل كل ما يمكن أن يساعد على إثراء الموضوع ودراسته ..

ومما لا شك فيه أن عملية الاستقصاء هذه تسمح للباحثين بالاطلاع على المصادر التي تمكنهم من استخلاص الأسس الفكرية والتطبيقية التي توجه النقد الأدبي لدى كل واحد من هؤلاء المهتمين بالموضوع ، علما بأن النقد لا يقاس دائما بمقاييس الصحة أو الملائمة للتطبيق. وطالما أن طبيعة هذه الدراسة تهتم بلغة القرآن فلا بد من الحديث عن أثره في تلك الدراسات حول الأدب: نظمه ونثره وقيمه وموضوعاته والمؤشرات النقدية التي يتجلى من خلالها هذا الأثر.

Abstract:

Koranic studies have contributed in the development of the Arab criticism and enriching the topics that require inherently investigation in this phenomenon and dealt with through the various major historical exchange stations, starting with the early stages of the interpretation of the Koran in order to demonstrate the resources that were reliable and exit to the tables were fueled by the necessary materials for this type of study, including language and poetry agenda. And, since Asma'i time to the modern era to include all possible help to enrich the subject and study it..

المنارة للاستشارات

مقدمة:

يكاد يجمع الباحثون على أن حركة النقد الأدبي عند العرب تنقسم إلى فترتين بارزتين: تمتد الفترة الأولى من العصر الجاهلي إلى بداية عصر النهضة في القرن التاسع عشر، وتتضمن مرحلتين: مرحلة أولى لم تعرف التدوين حيث كان الاعتماد فيها على الرواية الشفوية ، وتمتد من العصر الجاهلي إلى مطلع العصر العباسي، ومرحلة ثانية ، عرفت التدوين الذي أسهم في تطوير كثير من العلوم والفنون، وتمتد من العصر العباسي إلى العصر الحديث، أما الفترة الثانية فهي تلي الفترة السابقة وتمتد الى اليوم .

نزل القرآن فتأثر الناس بسحره وبيانه ونادى الإسلام بإنهاء العصبيات القبلية وإرساء قيم جديدة فأصبح الاعتداد بالدين من أهم الموضوعات التي تطرق إليها الشعراء. ثم ظهرت ملامح النقد المنهجي عند العرب حين دون العرب معارفهم وكتبهم وتداخلت الثقافة العربية الإسلامية مع الثقافات الأجنبية، مما أدى إلى صقل مواهبهم. وتميز النقد في هذه المرحلة بالابتعاد عن الانطباعات الشخصية في إصدار الحكم وأصبح النقد نقدا منهجيا له أصوله وقواعده على غرار ما جاء في كتب " طبقات فحول الشعراء " و" الشعر والشعراء " و" البديع " و" الوساطة " وغيرها...

أما الدراسات القرآنية أو الإسلامية، فإنها تحاول إقامة التوازن بين الفكر والفن من خلال تتبع التفاعل العميق بين الإسلام والشعر. فهي تبحث مفهوم الشعر الإسلامي وارتباط الفنون بالعقائد بعامة وبالإسلام بخاصة،

المنارة للاستشارات

وتؤسس لمصطلح الأدب الإسلامي (ومنه الشعر) في منظور النقد القديم، تعزيزاً لأصالة هذا التصور. وإشارة إلى جذوره التي تضرب في أعماق التصور الأدبي العربي منذ فجر الإسلام، كما تناقش عروبة لغة الأدب الإسلامي في إطار الواقع والطموح وتعالج في الوقت ذاته مسألة الانفتاح على الآداب الأجنبية، ومدى إمكانية دراسة الأدب الإسلامي وفق التقنيات الفنية الحديثة التي لا تتعدى حدود الإسلام، وتحاول الدراسات الإسلامية مناقشة الدوافع التي أدت إلى مزاعم ضعف الشعر الإسلامي في العصور السابقة بالاعتماد على أربعة محاور تتمثل فيما يلي:

1 . حرية الشعر ومفهومها بين الإباحة والإسلام.

2 . القدم والحداثة والنظر إلى الشعر من خلال نظرة محافظة منحازة للجاهلي سلفاً.

3 . أثر الحضارة والبيئة في الشعر ولغته وأسلوبه وتأثير ذلك في أحكام النقاد اللغويين التي جاءت لصالح الجاهلي لغلبة المفردات الغريبة عليه التي لا تلائم ذوق النقاد اللغويين.

4 . التصور الفني لأسلوبي القرآن الكريم والحديث النبوي الذي طغى على ذوق النقاد في القديم والحديث، فطالبوا الشعر عن وعي وعن غير وعي أن يضاهيهما وإلا فهو ضعيف.

وأما القسم الفكري منها، فيدرس الشعر من خلال التصور الإسلامي للإنسان حسبما أبداه الشعر الإسلامي من حيث كون الإنسان رسولاً وقائداً،

المنارة للاستشارات

وداعية، وعابداً، وفي الوسط الاجتماعي، ومهاجراً، ومجاهداً، وشيخاً، كما تناول خصائص شعر المرأة ...

وقد ظهر الإنسان في الشعر الإسلامي محوراً للكون موفقاً في أداء الدور الذي ناطه الله به، وكلمة الله الفاعلة في الأرض وخليفته فيها. ذلك أن الإنسان لا يتحرك في هذه الدنيا إلا بمجموعة من القيم والمثل، تكون للمؤمن الحياة الحقيقية التي يعيش وفق منهجها حتى تشكل له الضوء والنهج والصراط المستقيم الذي هداه الله إليه.

ومن هذا المنطلق يتجلى أثر الدراسات القرآنية فيما تتناوله من قضايا الحياة كما بدت في الشعر الإسلامي الذي كان متفاعلاً معها في نفس الشاعر وعقله وعواطفه، وصدر عن التصور الإسلامي لجوانب الحياة المختلفة مثل:

1 . التوحيد الذي جمع العرب أمة واحدة لعبادة الله الواحد، وأزاح الوثنية والعصبية القبلية.

2 . الأمة بدل القبيلة، وتحويل القبيلة إلى خدمة الأمة.

3 . الدنيا والآخرة، وملذات الدنيا قبل الإسلام ونظرة المسلمين إليها على أنها فانية قصيرة مخادعة، وأنها ميدان عمل فحسب تحصد ثماره في الآخرة، فإما إلى الجنة وإما إلى النار .

4 . الغنى والإنفاق والتوازن بينهما، والسعي من أجل الرزق، وعدم الاتكال على سؤال الناس، وأن المال لله يعطيه من يشاء ويأخذه ممن يشاء.

المنارة للاستشارات

5 . الإيمان بالقضاء والقدر والاطمئنان إلى حتمية الموت، وترك الخوف من المجهول الذي ساد النظرة قبل الإسلام.

6 . الحنين والغربة بسبب الهجرة والأسر والسفر والجهاد والردة.

7 . العفاف في التعامل مع المرأة، والامتناع عن الخمر والمحرمات.

8 . التفاؤل والتطير، وترك الخوف من المجهول، والإيمان بما كتب الله على المرء من خير أو شر.

وقد تناولت الدراسات القرآنية ما كان القرآن الكريم يدعو إليه من تأمل في آيات الله في خلق الطبيعة وما فيها من أدلة تسوق العقل إلى الإيمان، ومنافع تخدم الإنسان.

غير أن ما يجب الإشارة إليه في هذا المقام هو أن ما يفترض أن يكون عليه الحال في النقد لم يكن ملموسا في النقد العربي القديم عامة، لأنه فصل بين عناصر الإبداع الأدبي حيث كان كل ناقد ينظر إليه من زاوية معينة. فناقد ينظر إلى اللغة ، وآخر ينظر إلى المعنى ، وآخر ينظر إلى التشبيه وهكذا ...

كان النقد العربي بوجه عام مقتصرا على النظر في بعض مقومات الإبداع لا فيها كلها. ولم تكن المشكلة في تقديم العمل الأدبي من زوايا مختلفة، وإنما المشكلة في قصر العملية التقويمية على جزء يسير من مكونات العمل الأدبي، وإغفال الجوانب الأخرى.

المنارة للاستشارات

والأصل أن تتضافر الرؤى النقدية جميعا في تقويم العمل الأدبي في شكله ومضمونه وصوره، وفي التجارب والمشاعر والغايات. وتلك هي المشكلة التي يبدو أن النقد العربي القديم وقع فيها عندما غلب المفهوم البلاغي في رؤيته التقويمية.

لقد أغفل النقد العربي في بدايته الجوانب الجوهرية والموضوعية وركز كل اهتمامه على الشكل، وصار لا ينظر إلى مقومات الإبداع ومقاييس الجمال إلا من خلال هذا المفهوم ([1]) فما يفترض به أن يكون جزئيا كان أمرا كليا وما يفترض به أن يكون وسيلة كان غاية. ولم ير النقاد العرب في الشعر العربي ما هو أبعد من الغاية البلاغية الجمالية، وقد تبعهم الشعراء في ذلك، فأخذوا يهتمون بالصياغة الفنية الجزئية ولا يبالون بجوهر الشعر.

ومما لا مراء فيه أن ميدان النقد هو ميدان للذوق الأدبي يعنى بتحليل النصوص الأدبية، وإبراز ما فيها من فن وجمال، والتعرف على الأسس التي يقوم عليها ذلك الذوق وهذا التحليل.

لقد أخذ القرآن الكريم مكان الصدارة منذ بداية الحياة الاسلامية بصفة كونه النص الأدبي الأول لهذه الأمة والكتاب المبين المعجز. هذا ، إلى كونه وحي السماء، وأساس التشريع ، والقانون المنظم للسلوك ، والمرشد الموجه إلى معالي الأمور وأسماها منزلة.

[1] ينظر، القيم الدينية في ميزان النقد العربي القديم ، حسين الأسود ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق لسنة 2007 ص: 799.

المنارة للاستشارات

إن دراسات القرآن الكريم كانت العامل الأكبر في العناية بتدوين اللغة وجمع الشعر ورواية الفصيح، وبحث طرائق اللغة في التعبير وأساليبها في البيان، وكلها مؤشرات تتجلى من خلالها إسهامات هذه الدراسات منذ القرون الأولى للهجرة في تطور الحركة النقدية العربية وهذا ما سنحاول في هذه العجالة الوقوف عند بعض المحطات للاستدلال بها على ذلك.

فمن المعلوم أن الدراسات القرآنية مرت بمراحل تاريخية طبعتها بطابعها الخاص، حيث تشمل المرحلة الأولى القرن الأول الهجري ومعظم القرن الثاني إلا أننا لا نستطيع أن نجد لها مؤلفات تتطرق إليها، غير أن المرحلة الثانية التي تبدأ من نهاية القرن الثاني وتستمر خلال القرن الثالث تعتبر مرحلة مهمة غنية بثروتها في الموضوع، فقد ألف فيها **ابن سلام** (ت 231هـ) كتابه النقدي "طبقات فحول الشعراء" وألف **الجاحظ** (ت 255هـ) كتابه "البيان والتبيين" وألف **ابن قتيبة** (ت 276هـ) كتابه المشهور في "الشعر والشعراء" والمبرد (ت 286هـ)كتابه "الكامل" في تحليل النصوص العربية وشرحها وموازنتها، وهي كلها كتب تتناول نواحي من النقد الأدبي من جهتيه النظرية والعملية في النظم والنثر.

يشير **ابن النديم** (ت 385هـ) في الفهرست إلى ثروة كبيرة من الدراسات القرآنية في تلك المرحلة أهمها كتاب "مجاز القرآن" **لأبي عبيدة** (ت 209هـ) وكتاب معاني القرآن للفراء (ت 207.هـ) وكتاب "مشكل القرآن" لابن قتيبة وغيرها من الدراسات الإسلامية القيمة.

المنارة للاستشارات

ويرى غالبية الدارسين أن هذه الكتب وأشباهها من كتب الدراسات القرآنية في تلك المرحلة تعد كتبا في صميم المفهوم النقدي، لاعتبارها تحاول فهم النص والتعرف على ظواهر الاستعمال اللغوي والتركيبي فيه، والاشارة إلى ما فيه من وجوه المجاز ، فقد اهتمت هذه الكتب بالبحث في ظواهر اللغة وفقهها وطرق الأداء ونظام الجملة العربية في إعرابها وتركيبها، وما في الكلام العربي عامة من فنون التصوير.[1]

والخلاصة أن القرن الثالث الهجري شهد جمع العلوم العربية والإسلامية وتدوينها كما رافق ذلك التأليف في النقد وتدوينه وشهد مشاركة النحاة واللغويين في النقد بسبب كثرة العلماء والمتخصصين في كل فئة وتوارى النقد الذاتي لهذا القرن وحل محله النقد المنهجي وذلك بسبب أبواب المعرفة والثقافة.

وتأتي المرحلة الموالية في القرن الرابع الهجري التي تعتبر مرحلة النشأة والفتوة في التأليف النقدي بينما تعتبر المرحلة التي تليها مرحلة الشبات والتخصص الحقيقي في هذه الدراسات، وقد خلفت لنا كتبا يحق للفكر العربي الإسلامي أن يعتز بها اعتزازا كبيرا ، حيث اتسعت الدراسة لتشمل الموازنة بين الشعراء والمتناظرين والفصل فيما يثار حول شاعر بعينه من قضايا نقدية حديثة ، فكان من ذلك كتاب الموازنة بين الطائيين **(أبي تمام والبحتري) للآمدي** (ت 371 هـ) وكتابا **قدامة بن جعفر** (ت 310 هـ) في نقد الشعر ونقد النثر...

[1] ينظر، مقدمة كتاب أثر القرآن في تطور النقد العربي، محمد زغلول سلام. ط1 مكتبة الشباب ، بدون تاريخ ،مصر، ص 13.

المنارة للاستشارات

بيد أن هذه الدراسات النقدية على كثرتها توجهت إلى الاهتمام بالجانب الشكلي وبالغاية البلاغية ، ومما يدل على اقتران الشعر العربي بالغاية البلاغية فضلا عن النقد، عمود الشعر، إذ ليس لعمود الشعر أي طابع اجتماعي أو سياسي أو ديني أو فكري أو فلسفي، ما عدا الطابع الفني البلاغي، وقد قرن النقاد العرب الشعر بعمود الشعر فقالوا "إن الشعر الجيد المختار ما أتى على أبواب هذا العمود[1] واستنادا إلى ذلك ، نشأ تيار نقدي يدعو إلى تجديد الكلام فنيا وإحكام صيغته بلاغيا، دون الالتفات إلى معناه.

ونظرية الجاحظ في الشكل أو نظرية المعاني المطروحة شائعة معروفة حيث قال صاحبها : "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي والمدني ، وإنما الشأن ، في إقامة الوزن وتخير اللفظ، وسهولة المخرج ، والرونق، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس في التصوير"[2] ولم يكن **الجاحظ** يتصور أن هذا الكلام سيؤول إلى تفضيل الشكل على المضمون، ولم يتصور أن نظريته التي لم تكن تمثل خطرا عليه ، ستصبح في أيدي رجال البيان خطرا على المقاييس البلاغية والنقدية، لأنها ستجعل العناية بالشكل شغلها الشاغل.[3]

[1] ينظر، القيم الدينية في ميزان النقد العربي القديم، حسين الأسود ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق لسنة 2007 ص: 799.

[2] كتاب الحيوان للجاحظ، ت. عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت 1406هـ 1996م، ص، 131/3-132.

[3] يراجع ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب . إحسان عباس، ط دار الشروق، عمان الأردن، د.ت. ص99.

المنارة للاستشارات

ثم تبعه **الآمدي** (ت 371هـ) القائل: " وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتي، وقرب المأخذ واختيار الشعر ووضع الألفاظ في مواضعها، وأن نورد المعنى باللفظ المعتاد فيه ، المستعمل في مثله... [1]

ثم جاء **أبو هلال العسكري** (ت395هـ) فيما بعد يردد ما قاله **الجاحظ** حيث قال "وليس الشأن في إيراد المعنى ،لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي، وإنما هو في جودة اللفظ وصفاته، وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك والتراكيب، والخلو من أود النظم والتأليف ، وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا[2]

تنم هذه المقولة عن مدى تعلق الآمدي وتعلق النقاد بظاهر الكلام وفنيته ، إذ الشأن في جوهر اللفظ وصحة السبك وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا ، وليس يهم بعد ذلك أكان خيرا أم شرا أو كان جيدا أم سيئا ؟؟؟ وقد سخرت البلاغة العربية لخدمة النقد، واستغنى النقد بها عن سواها، مما جعل أحكامه محصورة بين الجودة والرداءة، ومحوره الغالب اللفظ والبيت والعبارة، فكان من الطبيعي بعد ذلك ألا ينظر النقد القديم في الأدب والفكر أو الفلسفة أو الأخلاق.

---

[1] ينظر، الموازنة بين الطائيين للآمدي، ت. السيد صقر، القاهرة، 1380هـ، ص:423/1

[2] كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، ت. علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط1، دار إحياء الكتب العربية 1371هـ 1952م ، ص 58. الأود: الاعوجاج

المنارة للاستشارات

ولم يكن النقد العربي القديم يتصور فكرة المذاهب والمدارس على نحو يكون فيه عدد من الشعراء مذهبا خاصا بهم، كصنيع **أبي تمام، والمتنبي** و**المعري** مثلا، بل حرموا ذلك ومنعوه، وفرضوا شروطهم، وأملوا فروضهم على كل الشعراء، وهي غالبا شروط تتعلق ببنية الكلام وفنيته، فتجعله على نحو أفضل بلاغيا، وتناسوا جوهر الكلام وما يمكن به هذا الجوهر من فكر أو فلسفة أو غير ذلك، وليتهم توقفوا عند الصياغة البنيوية الشكلية للشعر فحسب، بل أنكروا على الشاعر تجاوز المظهر إلى الجوهر، كما أنكروا الغموض والإغراب وحاربوا كل سبيل يمكن أن يسهم في تجديد الشعر العربي أو تطويره.

لذلك ،لم يعرف العرب النقد الموضوعي على وجه عام، ولم يتصوروا وجود نقد منهجي على شكل مدارس واتجاهات وغايات في الحياة، وإن وجد فقد أجهضته البلاغة لغلبتها على النقد، علما بأنه كان في الإمكان مد النقد العربي باتجاهات جديدة تستطيع أن تخلصه من الغنائية لتنقله إلى الموضوعية، ولا سيما تلك التي فرضها ظهور الإسلام كإدخال مبدأ الفضيلة إلى النقد العربي ومحاولة اقتباس النمط الأدبي القرآني الذي تجلى في القصص القرآني على نحو يشق آفاق موضوعات جديدة يستطيع العرب محاكاتها أو بناء الشعر عليها، فلا يضطرون إلى تحوير معاني القدماء أو سرقتها.

المنارة للاستشارات

إلا أن ذلك لم يحصل حتى في القرون الذهبية للحضارة العربية ، ولا سيما القرن الرابع الهجري [1] فكل ما عرفه النقد في هذا القرن لا يتجاوز المفاضلة والموازنة بين الشعراء وهما أمران لم يأتيا بجديد للنقد العربي لأنهما لم يخرجا عن نطاق الصياغة والنظم وغير ذلك من الأمور البلاغية.

ودرج الشعراء على اتباع هذا الاتجاه بل كان النقد العربي عصيا على التغيير موصدا أبوابه أمام كل جديد ، فإن أتى شاعر ما بصورة بعيدة أو غريبة شددوا النكير عليه، واتهموه بالخروج عن عمود الشعر العربي، وربما كانت علة ذلك هيمنة نمط الشعر الجاهلي عليهم ، فقد كان مصدر تشريع النقاد العرب، ووحي قوانينهم ولم يكن الإسلام.

لم يغير أكثر النقاد العرب مصدر تشريعهم بعد نزول القرآن الكريم فيتحولون عن قوانين الجاهلية إلى قوانين الاسلام ، بل ظلوا ينظرون إلى الشعر الجاهلي حتى قرون متأخرة على أنه القدوة المثلى ، والمثل الأعلى ، فكان من الطبيعي ألا يخرج الشعر الإسلامي عن سمته الجاهلي وطابعه العام إلا بعض الأغراض والخصائص وأن يحتفظ بجل مقومات الشعر الجاهلي ومنها الفحش والعهر.

مما جعل كثيرا من الأسئلة تطرح نفسها بإلحاح على الدارس العربي منها: ما موقف النقاد العرب من الأخلاق الفاضلة والدين الحنيف ؟ وهل أثرت الأوضاع السابقة في مواقفهم من هذه الأمور؟

---

[1] ينظر، القيم الدينية في ميزان النقد العربي القديم ،حسين الأسود ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق لسنة 2007 ص: 799.

المنارة للاستشارات

المعلوم أن مظاهر الفحش قد بدأت في العصر الجاهلي إذ تعالت بعض أصوات الشعراء الجاهليين بالفحش والعهر، كما هو معروف في شعر امرئ القيس ومنه قوله: [1]

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ...... فألهيتها عن ذي تمائم محــول[2]

فجــئت وقد نضت لنوم ثــيابها ...... لدى الستر إلا لبسة المتفضل[3]

وقوله :

سموت إلـــيها بعدما نام أهـــلها ... سمو حباب الماء حالا على حال[4]

وكذلك في شعر **الأعشى** ومنه قوله:

فقد أخالس رب البيت غفلته..... وقد يحـــاذر مـــــني ثم ما يئل[5]

مع أن ما تميز به الشعر الجاهلي من ظاهرة الفحش والعهر لا ينفي بالضرورة العفاف عن كثير من الشعراء الجاهليين، حيث يقول ابن سلام كان

---

[1] انظر، ديوان امرئ القيس، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف بمصر، د.ط. د.ت. ص

[2] انظر المحول : الصغير الذي بلغ حولا، أي عاما

[3] انظر، ديوانه، المصدر السابق، ص 14 ، ونضت : نزعت.

[4] انظر، ديوانه، المصدر السابق، ص 31، وسموت إليها نهت إليها شيئا فشيئا

[5] انظر، ديوان الأعشى الكبير، ت. محمد حسنين، المطبعة النموذجية، مصر، د.ت. ص 59، ما يئل : لا ينحو

المنارة للاستشارات

من الشعراء من يتأله في جاهليته، ويتعفف في شعره، ولا يستبهر بالفواحش ولا يتهكم في الهجاء [1] .

والحقيقة أن المشكلة ليست في انتشار الرذيلة في الشعر الجاهلي، إذ لا دين يردعهم ولا وازع يزجرهم إلا من تخلق بخلق حسن وحكمة فاضلة وإنما المشكلة في الشعر الإسلامي الذي استمر بالفحش والعهر بالرغم مما يحض عليه الإسلام من أخلاق وفضيلة ونهيه عن الفحش والرذيلة ، فهذا **الفرزدق** وهو الشاعر المسلم المعروف بقصيدته المشهورة في مدح علي زين العابدين بن الحسين ، نجده يقول[2]

وبيض كالدمى قد بت أسري — بهن الى الخـــلاء عن النـــيام

مشين الي لم يطمثن قبلي — وهن اصح من بيض النعام

فبتن بجانبي مصـــــرعات — وبت افض أغلاق الخـــــتام

ألا يكون الفرزدق بشعره هذا قد تجاوز كل فخش وعهر وزاد على ما جاء به الشعراء الجاهليون؟ وإن دل هذا الأمر على شيء فإنما يدل على أن بعض الشعراء المسلمين لم يأخذوا بمبادئ الدين الإسلامي وقواعده الأخلاقية الضابطة علما بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبعض أصحابه أطلقوا ملاحظات نقدية على الاهتمام بالجانب الأخلاقي في الشعر.

---

[1] انظر، طبقات فحول الشعراء (41/1)وينظر، الموشح ص: 179.

[2] انظر، شرح ديوان الفرزدق، (835/2- 836) والأغاني : 109/16.

المنارة للاستشارات

فالموقف الإيماني الأخلاقي للشاعر هو المنشود قبل كل شيء عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والميزان الذي يزن به شعر الشعراء هو ميزان القيم والأخلاق الفاضلة والمعاني الحميدة السامية أيا كان حظ الشاعر من الإبداع.

فقد وظف النبي (صلى الله عليه وسلم) الشعر في نصرة الدين وإعلاء شأن الأخلاق والفضيلة، وإذا سمح لبعض الشعراء بالهجاء فذلك ردا على هجاء المشركين كما سمح بشعر الفخر بقيم الإسلام والمديح بصور الحقيقة لا يتجاوزها ، ومع ذلك فقد أغضب النبي (صلى الله عليه وسلم) قول النابغة **الجعدي**:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فغضب النبي (صلى الله عليه وسلم) وقال أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قال: الجنة يا رسول الله ، قال : أجل إن شاء الله وتبسم ، ثم أردف النابغة قائلا :

ولا خير في حلم إذا لم يكن به بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن حليم إذا ما أورد القوم أصدرا

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) أجدت لا يفضض الله فاك مرتين ، فعاش النابغة أكثر من مائة سنة وكان من أحسن الناس ثغرا. [1]

[1] نضرة الإريض (305 – 306) والاصابة في تمييز الصحابة (394/6)

المنارة للاستشارات

فالرسول (صلى الله عليه وسلم) ينكر على النابغة غلوه الزائد في قوله (بلغنا السماء مجدنا وجدودنا) ويستنهض فيه فضيلة الصدق عندما اتبع النابغة قوله الأول ببيتين في الحكمة أثنى عليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله لا يفضض الله فاك.

وقوله هذا إنما هو حكم نقدي بالجودة وقد استند الرسول (صلى الله عليه وسلم) في إصداره إلى معيار المعاني الحكمية والأخلاق الفاضلة التي رأى الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنها تحققت في بيتيه ولم ينظر إلى نظمه أو أسلوبه أو غير ذلك من الأمور البلاغية، التي كانت المعيار الأساسي عند العرب ، فالمعاني الفاضلة هي الغاية عند الرسول (صلى الله عليه وسلم) والصياغة إنما هي وسيلة فحسب[1].

ومما يرويه أبو هريرة أن النبي كان يستنهض فضيلة الصدق في الشعر حيث روي عنه (صلى الله عليه وسلم) قوله: (أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ، ألا كل شيء ما خلا الله باطل [2] وكذلك روي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنشد قول سحيم [3]

الحمد لله حمدا لا انقطاع له　　　فليس إحسانه عنا بمقطوع.

---

[1] انظر طبقات فحول الشعراء (63/1).

[2] ينظر، صحيح البخاري (729= تحت رقم 3841 كتاب مناقب الانصار باب ايام الجاهلية . وابن حبان في صحيحه (99/13) تحت رقم (5784).

[3] خزانة الادب (103/2)

المنارة للاستشارات

فقال: " أحسن وصدق، فإن الله ليشكر مثل هذا، وإن سدد وقارب إنه لمن أهل الجنة"[1] ولا يختلف موقف الصحابة (رضي الله عنهم) عن موقف الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) كموقف عمر من شعر زهير مثلا. عندما قال عنه: كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع وحشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه، فلا يعتمد الكذب أو النفاق [2]،لكن بالرغم من ذلك ظل النقد يعنى بالجانب البلاغي والجمالي دون مراعاة القيم والأخلاق.

هذا الموقف أفضى إلى طرح العديد من التساؤلات لدى كثير من النقاد والدارسين، فهل ستظل غاية الشعر والشعراء هكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؟ ألم يستثن الله جل ثناؤه طائفة منهم ووعدهم بالانتصار؟ ووضع لذلك شروطا يجب الالتزام بها وهي مذكورة في الآية الكريمة ، قال تعالى: ﴿**والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا، وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾[3].

يحق لنا والحال هذه أن نتساءل عن موقف النقاد العرب من موضوع الأخلاق والفضيلة والقيم الدينية ؟ وهل أثرت الأوضاع السابقة في مواقفهم من هذه الأمور ؟ وما فضل الدين على البلاغة ؟ وهل يقوى الشعر إذا عزل عن

[1] شرح شواهد المغني (327/1).

[2] انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد 82 الجزء الرابع ص 807.

[3] سورة الشعراء، الآيات: 224-227.

المنارة للاستشارات

الدين؟؟[1] وعلى أي أساس بنى **قدامة بن جعفر** (ت 310هـ) وغيره من النقاد مذهبهم الذي يقدم الجودة الفنية على القيم الدينية والخلقية ؟؟

وكيف أصبح الكذب دليل قوة الشاعر وقدرته ؟ وما الداعي إلى اعتبار أعذب الشعر أكذبه ؟ ولماذا كان **الآمدي** ينفي فضائل الكلام عن الشعر ويبيح للشاعر الكذب والضرر[2] هذا في الوقت الذي نجد فيه الأدب الفارسي يعتبر البلاغة جزءا ثانويا، ويقدم عليها الأخلاق والقيم[3] .

ولماذا يتفق النقاد على أنه لا يلتمس الصدق من الشعراء وإنما يلتمس منهم حسن القول والصدق، بل يلتمس ذلك من أخبار الصالحين وشهور المسلمين [4] ،هكذا كان الدين ينظر إلى الشعر: أن يقترن قول الشاعر بالناحية الإيمانية والأخلاقية ويحض على الخير والفضيلة وينهى عن الشر والرذيلة ، فالغاية عنده هي المضمون الأخلاقي ، ولم يكن المظهر (الشكل) إلا وسيلة للتعبير عن هذه الغاية.

والواقع أنه في الوقت الذي كانت فيه الدراسة الاسلامية النقدية المتخصصة تمضي في طريقها كان هناك نفر من علماء الدراسات الاسلامية يعكفون على إعجاز القرآن ، يفصلون القول فيه يشرحون جهاته.

---

[1] ينظر، القيم الدينية في ميزان النقد العربي القديم، المرجع السابق، ص808-809

[2] ينظر القيم الدينية في ميزان النقد العربي القديم، المرجع السابق ، ص: 817.

[3] ينظر المرجع السابق ص 818.

[4] ينظر، المنصف في نقد الشعر لابن وكيع التنيسي (ت . 393هـ) تعليق محمد رضوان الداية، دار قتيبة، د.ط، د.ت.

المنارة للاستشارات

ومن كتبوا في موضوع البلاغة الإمام النحوي المتكلم **أبو الحسن علي الرماني** (ت 374هـ) رسالة في إعجاز القرآن العظيم وقرر أن أعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن وقسمها إلى عشرة أقسام (الإيجاز والتشبيه، والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان) ثم شرحها مفصلة وبإسهاب ، مستشهدا بآيات الذكر الحكيم. ومن أئمة هذا الميدان كذلك، شيخ السنة ولسان الأمة **أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني**(ت 403هـ) صاحب كتاب (إعجاز القرآن) وقد **بنى الباقلاني** فكرته على أن (نظم القرآن) على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام الأدب العربي.

ثم إن القرآن كتاب تشريع جديد، يتخير الألفاظ للمعاني المبتكرة والأسباب المستحدثة لا ينسج في شيء من ذلك على منوال سابق، وهذه الخصائص البلاغية التي نجدها في القرآن الكريم لا تفسر الإعجاز بل تساعد وترشد فحسب، ولعل في سبيل هذه الغاية صور الباقلاني النتائج التي وصلت إليها جهود مدارس النقد الأدبي إلى عصره وشرح هذه النتائج ومثل لها من القرآن ومن مأثور الأدب العربي.

ولا ننسى أثر القرآن في إثارة بعض المسائل الفنية الجمالية في الأسلوب وهو الأصل الذي قامت عليه دراسات السابقين، والذي كان له الفضل في توجيه دراسات النقد الأدبي العربي في مراحله المختلفة، فقامت جهود العلماء في دراسات القرآن على جلاء تلك المسائل لحل اللغز الذي حير الناس وهو " الإعجاز" وكانت محاولات شتى للوصول إلى حل له والاهتداء إلى تعليل عللوه أولا بمسائل فلسفية كلامية، لكنه لم يستقم ، وقامت حوله اعتراضات

المنارة للاستشارات

ومطاعن واجتنبوا به الناحية البيانية، فتوصلوا إلى نتائج خدمت الأدب والنقد جميعا.[1]

تعد هذه المرحلة استمرارا لما قبلها وبلوغا بالبحوث النقدية إلى غاياتها، وقد قامت بحوث الإعجاز بدورها فأفادت من نقد الأدب وأفادوا النقد منها، ثم تأتي مرحلة الكتب الجامعة الشاملة في الموضوع وهذه المراحل ليست زمنية بقدر ما هي تطورية، لقد تداخلت المراحل بعضها في بعض حتى صارت عبارة عن حلقات متتالية في سلسلة حياة النقد العربي.

وتأخذ فكرة " إعجاز القرآن " مكانها في هذه البحوث النقدية باعتبارها غاية حينا، وثمرة حينا آخر. يقول أبو **هلال العسكري** في هذا الصدد " إن أحق العلوم بالتعلم هو بعد معرفة الله جل ثناؤه علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة."

ويتبعه في القرن الخامس الهجري **ابن سنان الخفاجي** (ت 466هـ) على المنوال نفسه فيبين أن معرفة حقيقة الفصاحة تفيد في ناحيتين: الأولى في العلوم الأدبية إذ بها يعرف "نظم الكلام" على اختلاف تأليفه ، ونقده، ومعرفة ما يختار منه مما يكره ، والثانية في العلوم الشرعية إذ أن المعجز الدال على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) هو القرآن، سواء أذهبنا مذهب القائلين بأنه خرق العادة بفصاحته، أم مذهب القائلين بالصرفة، فلا مندوحة في الوجهين

[1] ينظر، أثر القرآن في تطور النقد العربي المرجع السابق ص362.

المنارة للاستشارات

عن بيان ماهية الفصاحة، لنقطع في الأول بأن فصاحة القرآن خرجت عن مقدور البشر.

وفي الثاني بأنها كانت في مقدورهم ومن جنس فصاحتهم، وتحقيقا لهاتين الفائدتين بحث ابن سنان بحثه الشامل في أصوات اللغة وفي فصاحة المفرد والمركب. وفي بلاغة نعوت الكلام البليغ.

وفي الوقت ذاته كان هناك إمام آخر معاصر لابن سنان الخفاجي يحاول أن يبحث خصائص نظم الكلام وأسرار البلاغة، ويضع في كلتا الناحيتين نظرية جامعة يقررها ويشرحها ويطبقها ويجيب عما قد يوجه إليها من اعتراضات، وهو **الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)** الذي سمى أكبر كتابيه " دلائل الإعجاز" وبين فيه أن إجماع المسلمين قد اتفق على أن القرآن معجز بنظمه... [1] وطريق الوصول إلى إدراك هذا الإعجاز هو معرفة حقيقة البلاغة والفصاحة في النظم.

وقد خاض الناس فيهما طويلا إلى أيامه، ولكنهم (في رأيه) وقفوا دون الغاية، ولم ينفذوا إلى الأعماق ولم يسلكوا منهجا علميا دقيقا ، وهو ما حاول **الجرجاني** استدراكه على من سبقوه، ففصل القول ووضع يده على الجوهر وحلل النماذج القرآنية والأدبية وانتهى في كتابه هذا إلى أن " بلاغة الكلام ترجع إلى خصائص في نظمه.' ثم أكمل نظريته هذه بنظرية أخرى في كتاب "أسرار البلاغة" الذي يقرر فيه أن "جمال الكلام يرجع إلى مبلغ تأثيره في

[1] ينظر، مقدمة كتاب أثر القرآن في تطور النقد العربي، المرجع السابق، ص17.

المنارة للاستشارات

النفوس، وغدا هذان الكتابان يشكلان الأساس الذي قامت عليه المناهج البلاغية في عهودها المتأخرة. [1]

ويطل علينا في القرن السادس الهجري أحد أقطاب أولئك الأعلام ليعالج موضوع الإعجاز كذلك، ولكن هذه المرة عن طريق التفسير ، ألا وهو **الإمام الزمخشري** (ت 538هـ) حيث ذهب إلى أن الله قد خص العرب بالنصيب الأوفر من سحر البيان فتصرفوا في ألوان القول المختلفة، لأن التفسير كما هو معلوم لا يستطيع أن يخوض غماره إلا من أتاه الله القدرة على الإحاطة بعلمين ضروريين لذلك هما علم المعاني وعلم البيان. حيث أضحى التفسير جدولا من جداول الدراسات القرآنية.. ولعل هذا الجدول هو ما يؤكد مدى تأثير الدراسات القرآنية في نهضة البحوث البلاغة.

وفي أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري يبرز ضياء **الدين بن الأثير** (ت637هـ) بكتابه المشهور " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، وهو كتاب جامع بمسائل هذا العلم حافل في تحليل الفن بالنماذج الأدبية والفنية من النظريات الأصلية والملاحظات المبتكرة، حيث يعده الدارسون كتابا ممتعا بحق في الدراسات القرآنية، لما تناوله من فنون ودراسات نقدية. وقد تعرض إلى أبواب من البيان لم يتعرض لها السابقون، بلغ بها درجة الاجتهاد.[2]

وقد وجد **ابن الأثير** في كتابه هذا أن أكثر الأشياء عونا على النبوغ في الكتابة هو تحليل آيات القرآن الكريم والأخبار النبوية وتحليل الأبيات

[1] ينظر، مقدمة كتاب أثر القرآن في تطور النقد العربي، المرجع السابق، ص17.

[2] ينظر المرجع السابق ص 18.

المنارة للاستشارات

الشعرية، فكان من الطبيعي أن يعد من المتأثرين بالقرآن في منهجه النقدي وفنه الكتابي.

ومن هذه الدراسات أيضا تحليل كتاب معاني القرآن للفراء وما اشتمل عليه من مسائل لغوية وأسلوبية، كانت تشغل بال اللغويين وعلماء القرآن والبيان في ذلك الوقت، مع غلبة الطابع النحوي على الفراء.

ثم دراسات المعتزلة وأهل السنة في بيان القرآن وما كان يسيطر على أفكارهم في مجاز القرآن ومتشابهة من معتقدات تتصل بأصول العقيدة ، وفي دراسات الجاحظ وابن قتيبة من فنون القول وطرقه .

وتطورت الدراسات القرآنية إلى دراسات إعجاز القرآن وظهور الطابع النقدي والدراسات البلاغية بشكل واضح مع الإشارة الى تطور الفنون البيانية والبلاغية متأثرة بدراسات السابقين سواء في القرآن أو البيان العربي بعامة. ولا ننسى الكلام عن البديع والبلاغة كمذهب له شأنه في النقد لما يبرز فيه من أثر القرآن ودراساته السابقة.

وفي العصر الحديث ظهر هناك من الباحثين من حاول استعراض النقد العربي منذ نشأته حتى القرن الرابع الهجري[1] في حين اكتفى آخرون بعصر ينحصر في قرن او قرنين من الزمن يتعرض لحال النقد فيهما مع الترجمة للنقاد ومن هؤلاء محمد مندور في النقد المنهجي وطه حسين في بحث

[1] حاول أحمد مصطفى المراغي التأريخ للبلاغة ورجالها.

المنارة للاستشارات

البيان العربي من **الجاحظ** إلى **عبد القاهر الجرجاني** [1] ومما يدعم هذا الاتجاه أيضا ما ورد في دراسة الباحث الأمريكي "**فون جرينباوم**" [2] في هذا الميدان .

وتأتي محاولة بعض الباحثين استعراض الظواهر الفنية المختلفة في الأدب بشعره ونثره والتأريخ لهما في دراسة تطورية مثلما فعل زكي مبارك في كتابه "النثر الفني" [3] وشوقي ضيف في كتابه "الفن ومذاهبه" في الشعر العربي و"الفن مذاهبه في النثر العربي. [4]

ووجه بعضهم عنايته الى الدراسات القرآنية يحاول أن يجدد ويمزج بعض ما استحدث في الغرب من مناهج على الأدب العربي مستعينا بالدراسات القديمة ، متبعا أصول الذوق العربي وضرورات التعبير في العربية ، وتركزت هذه الجهود حول دراسات "الأسلوب" و"أصول النقد" **لأحمد الشايب** و"الأصول الفنية للأدب" **لعبد الحميد حسن** و"النقد الأدبي" لسيد قطب و"النقد الأدبي" **لأحمد أمين وغيرهم.**

وخلصت جهود هؤلاء الباحثين الى العناية بدراسة فكرة بعينها والتنبيه إلى الظاهرة في الأدب والنقد مع الانتفاع بما نجم من الدراسات الإنسانية المستحدثة كعلم النفس ودراسات الجمال والفن وعلم الذوق ودراسات النقد العربية مثل كتاب "من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده" **لمحمد خلف الله**

---

[1] ينظر، مقدمة كتاب "نقد النثر" لطه حسين طبعة لجنة التأليف القاهرة. بدون تاريخ.

[2] ينظر، كتاب "الأدب العربي" للكاتب الأمريكي، Gustave von Grun ebaum

[3] ينظر، في ذلك "النثر الفني" لزكي مبارك ، طبعة دار الكتاب بمصر سنة 1934م.

[4] ينظر، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، محمد زغلول سلام، ط1 مكتبة الشباب ، بدون تاريخ – مصر – ص 22.

المنارة للاستشارات

و"دراسات في الأدب الإسلامي **لمحمد خلف الله** أيضا ، إلى غير ذلك من الدراسات في هذا الاتجاه ....

وقد حظي القرآن والدراسات القرآنية بنصيب كبير في ميدان النقد حيث تعرض النقاد والأدباء لأسلوب القرآن على ضوء مناهج البحث الفني وهكذا فعل "**سيد قطب**" في "التصوير الفني في القرآن" وفي مشاهد يوم القيامة في القرآن" **واحمد احمد بدوي** في "بلاغة القرآن".

كان القرآن الكريم ودراساته عاملا هاما في نشأة النقد وتطوره بشكل لا يمكن تجاهله ولا إنكار أثره ، وذلك لأنه نص عربي رائع وأنه معجزة النبي القولية وكان مدار اهتمام علماء العربية يتدارسون أسلوبه ويحاولون الوصول إلى أسرار روعته البلاغية وهكذا أفاد القرآن في ميدان النقد.

وكان الأستاذ محمد خلف الله ممن اهتموا بالتنبيه الى الدراسات القرآنية في النقد الأدبي وتطوره ، وذلك من خلال إلقاء العديد من المحاضرات في الموضوع في الاسكندرية وفي القاهرة بكلية الآداب ودار العلوم وغيرها من الفضاءات العلمية والثقافية وعن طريق الإذاعة والمجلات والمؤتمرات يتحدث فيها عن الدراسات القرآنية كعامل هام في تطور النقد العربي. [1]

وكلف طلابه بتناول الموضوع من جوانبه المختلفة فكان منهم **محمد زغلول** الذي تناول الموضوع في دراسة تطورية تحليلية، مع التركيز على القرون الأولى ، والإفادة من مجموعة من المراجع الهامة التي ماتزال

[1] ينظر، أثر القرآن في تطور النقد العربي المرجع السابق ص 24.

المنارة للاستشارات

مخطوطة، وبيان الجداول الأولى التي صبت في الدراسات القرآنية، وأثرت في النقد ، والظواهر المختلفة التي نشأت وتفاعلت وتطورت .

وما يمكن استخلاصه من استقصاء هذه الدراسات والاستفادة منها، أن يتحرر النقد من البلاغة والبديع ويرتقي إلى الاهتمام بالنقد الموضوعي الذي يكشف عن القيم الدينية أو الإنسانية على الأقل وعن محاسن النصوص ومقابحها اعتمادا على مقاييس ليست كلها بلاغية بل للذوق والطبع العربي نصيب كبير فيها.

وتجدر الإشارة إلى أن القيم الإنسانية هي الأكثر توافقا من القيم الدينية، فالناس كلهم مجتمعون يجمعون على قبول القيم الانسانية في حين لا يتوافقون على القيم الدينية التي قد تفرق الناس إلى فئات وطوائف ومذاهب قد يصل الاختلاف بينهم إلى حد القتال واستئصال الطرف الآخر. ولعل من هذا المنطلق وبسببه ، تولدت فكرة إبعاد الدين عن الفن حتى يكون موضوع إجماع ولا يؤدي إلى اختلافات قد تفضي إلى صراعات.[1]

ولا شك أننا سنجد الكثير من القيم الجمالية والخلقية والإنسانية إذا ما حاولنا جمع الموضوعات التي وردت في بحوث السابقين من علماء القرآن والبيان الذين تعرضنا لدراسات بعضهم والأصول الفنية في النقد التي نجمت عندهم في دراسات القرآن خاصة وبيان قيمتها من الوجهة الفنية والجمالية اعتمادا على مقاييس النقد وعلم الجمال والذوق حديثا.

[1] ... حتى أصبح يقال في هذا الصدد: لا تمزق الرواية ومزق المصحف ؟؟؟

المنارة للاستشارات

النقد الأدبي الحديث عند العرب:

يتمثل النقد الأدبي الحديث عند العرب في ثلاث اتجاهات، الأول : النقد الانطباعي التأثري ، ذلك الذي يخضع إلى التذوق غالبا ، وكأنه يركن إلى نوع من التأثير الوقتي الذي يلم بالمرء ساعة قراءته لعمل ما. ويدخل تحت هذا النوع –غالباً– النقد المتأثر بالصداقة أو معرفة المؤلف، ويدلّ على ذلك تنصيص المقدمات التي تصاحب طبع المجاميع الشعريَّة ، أو القصصيَّة ، أو تلك المقالات التبشيرية التي ترافق مواعيد نزول هذه المجاميع إلى الأسواق .

إلا أن هذا النوع من النقد الانطباعي بدأ يأخذ منحى معيناً يميل إلى الدقّة، وقد برز في العصر الحديث الناقد المصري **سيد قطب** في كتابه النقد الأدبي وفي مقالاته عن روايات نجيب محفوظ، وذلك قبل أن يتحول إلى مجال الإسلاميات ، وكذلك من أبرز النقاد" **محمد مندور**" وهو تلميذ **طه حسين**، وقد عرف بالنقد القائم على المنهج الفني اللغوي ، رافضاً بذلك جميع المناهج الأخرى؛ لا سيَّما المنهج النفسي القائم على تطبيق علم النفس على الأدب جاعلاً من التذوق الصحيح أساساً لما يكتبه ؛ إذ أن الذوق لديه ليس معناه ذلك الشيء العام المبهم التحكمي ، بل هو ملكة مردها ككل شيء في نفوسنا إلى أصالة الطبع ، إلا أنَّها تنمو ، وتصقل بالتدريب .

وقد كان **غنيمي هلال** مؤلف كتاب النقد الأدبي كذلك ممن حاول الارتقاء بالجانب الانطباعي باعتباره أساس ميل الناقد إلى النص؛ بحيث يأخذ من هذا الميل منهجا يبحث من خلاله ما احتواه النص واشتمل عليه من معطيات لغوية أو نفسية.. الخ.

المنارة للاستشارات

والنوع الثاني من النقد هو النقد الذي يطبق النظرية الغربية على النص العربي دون مراعاة لسمات النص العربي الأساسية، فالمهم لدى الناقد هو إثبات صحة النظرية بغض النظر عن النص؛ ومن أبرز النقاد العرب **كمال أبو ديب** الذي حاول تطبيق البنيوية على قصائد جاهلية كمعلقة امريء القيس، وقد اهتم بدراسته البنوية بشكل حول معه النقد إلى نوع من التحليلات الهندسيَّة والرسوم الرياضيَّة .

وفي مصر ظهرت كتابات نقدية مختلفة تعتمد على النظريات الغربية، **فصلاح فضل** وهو ناقد مصري مهتم بتطبيق البنيوية على النصوص الأدبية باعتبار أن جودة النص تخضع لمدى استجابته لمعطيات النظرية الغربية، وقد كان لكتابات جابر عصفور وهو ناقد مصري أثر في إضفاء قيمة عالية على النظرية أكثر من النص، وقد ترجم **جابر عصفور** كتاب **رامان سلدن** عن مناهج النقد الحديث، وكتابات أخرى في لبنان **ليمنى العيد وسعيد يقطين** في المغرب كذلك، وقد انتقدهم **عبدالعزيز حمودة** في كتابه «المرايا المحدبة»، الذي صدر في عام 1998م تقريبا، مبينا أن **جابر عصفور** لا يعطي النص حقة وأن النص لا قيمة له بذاته إلا بقدر ما يكتسبه من توافق مع النظرية البنيوية مثلا، وقد دارت حوارات قوية بين عدد من المهتمين في النقد عقب صدور هذا الكتاب.

و التيار الثالث يمثله بعض النقاد العرب وهم الذين اهتموا بالنص لذاته وبعد ذلك، رأوا مدى تطابقه مع النظريات المختلفة دون أن تكون النظرية عائقا في فهم النص أو أن يكون النص مفروضا لتسويغ نظرية معنية، ومن أبرز هؤلاء النقاد إحسان عباس الذي كتب عدة دراسات نقدية أبرزها ما كتبه عن

المنارة للاستشارات

السياب وعن البياتي وكذلك كتاب عن تاريخ النقد الأدبي، وكذلك كل من **عبد الواحد لؤلوة** من العراق الذي ترجم عددا من المصطلحات والنظريات الأدبية وقصيدة ت.س. إليوت، وكذلك **عبدالمنعم تليمه** من مصر وله كتاب في النقد الأدبي، وكذلك **توفيق بكار** من تونس **وشكري عياد** من مصر الذي له مؤلفات كثيرة حول النقد الأدبي ومناهجه، **ومحمد يوسف نجم** من لبنان، و**محيي الدين صبحي وسامي الدروبي** من سوريا، وغيرهم.

هؤلاء قد استفادوا من النظرية الغربية دون أن يعوقهم ذلك من التعامل مباشرة مع النص العربي، ويمكن الإشارة الى ان من سمات هذا التيار أنه يتعامل مع النص ومع النظرية من خلال الثقافة السائدة ، والمجتمع القارئ ، مع إمكانية الأخذ بأكثر من منهج في وقت واحد ، والمزج بينها.

المستشرقون والدراسات القرآنية:

إن الحديث عن الدراسات القرآنية يجرنا إلى الحديث ولو باقتضاب عن ظاهرة الاستشراق ودورها في الدراسات القرآنية، لأن الحديث قد يبدو ناقصا إذا نحن لم نشر إلى ذلك ولو من بعيد، لما للاستشراق من دور في مجال الدراسات القرآنية، وهو أمر لا يمكن إغفاله ...

تناولت الدراسات القرآنية عند المستشرقين عدداً كبيراً من الموضوعات المرتبطة بالقرآن الكريم من منظور استشراقي يختلف كثيراً عن وجهة النظر الإسلامية. وعلى الرغم من أن معظم موضوعات الدراسات القرآنية عند المستشرقين يدور حول شبهات استشراقية عن القرآن الكريم فإنه من الممكن حصر هذه الموضوعات وتقديمها في صورة علمية تعكس الاهتمام العلمي الاستشراقي بالقرآن الكريم، وتفيد في التعرف على أهم مجالات الدراسات

المنارة للاستشارات

القرآنية عند المستشرقين، واتجاهات موضوعاتها، كما أنها تفيد في رصد تطور هذه الدراسات القرآنية في شكل مستقل داخل إطار الدراسات الإسلامية، أو في شكل مقارن داخل إطار مقارنة الأديان، وبخاصة مقارنة الكتب المقدسة في الأديان حيث إن جانباً كبيراً من هذه الدراسات يهتم بمقارنة موضوعات قرآنية بموضوعات توراتية، لأن عدداً كبيراً من المستشرقين متأثر بالخلفية اليهودية النصرانية، ويطرح الموضوعات القرآنية من منظور يهودي نصراني.

كما أن من مجالات الدراسات القرآنية عند المستشرقين الاهتمام بالموضوعات اللغوية والأسلوبية، ومن أهمها موضوعات: البلاغة، والإعجاز القرآني، ولغة القرآن الكريم، والأسلوب القرآني، وغريب القرآن، أو ما يسمى عند المستشرقين بالألفاظ الأجنبية في القرآن الكريم، أو (الدخيل السامي) وغير السامي في القرآن الكريم. والدراسات حول معاجم القرآن الكريم. واهتم المستشرقون بقصص الأنبياء في القرآن الكريم، وعقدوا مقارنات لكثير من هذه القصص بما يقابلها في أسفار العهد القديم والعهد الجديد. واهتم المستشرقون أيضاً بالموضوعات المرتبطة باليهودية والنصرانية، وبالتصور القرآني للديانتين ، وبالنقد القرآني لهما.

وقد نالت ترجمة معاني القرآن الكريم جانباً كبيراً من اهتمام المستشرقين حيث ناقشوا قضايا ترجمة معاني القرآن الكريم، وصعوبات الترجمة، كما قام عدد منهم بعمل ترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى كل اللغات الأوروبية، وكذلك اهتم المستشرقون أيضاً بدور القرآن الكريم في حياة المسلمين، وتأثيره في الاجتماع والتمدن الإسلامي، ودوره في بناء الحضارة الإسلامية وفي التربية

المنارة للاستشارات

والسلوك الإسلامي، وقد غلب على هذه الموضوعات القرآنية المتعددة عند المستشرقين عدة اتجاهات لعل من أهمها:

1 – اتجاه دراسة القرآن الكريم في ضوء علم نقد الكتاب المقدس.

2 – اتجاه دراسة القرآن الكريم في ضوء المنهج التنصيري.

3 – اتجاه دراسة القرآن الكريم في ضوء المنهج المقارن.

4 – الاتجاه المرتبط بترجمات معاني القرآن الكريم وغيرها .....

ومن هذه الاتجاهات، تصنيف موضوعات الدراسات القرآنية عند المستشرقين نظراً لاتساعه، وتأثيره الشامل على الدراسات القرآنية، ولكونه أيضاً الاتجاه المُوَلِّد لأهم الشبهات الاستشراقية حول القرآن الكريم.

تأثر المستشرقون في دراستهم للقرآن الكريم بالمناخ العلمي والفكري الغربي، وبمنهجية البحث العلمي السائدة في الغرب، وذلك باعتبار المستشرق ابن بيئته العلمية والثقافية، وبالضرورة لابد أن يتأثر بالمعطيات المنهجية، وبأصول البحث العلمي التي تطورت داخل إطار العلوم الإنسانية والاجتماعية.

وقد عكف على درس الإسلام والقرآن فريقان من المستشرقين: فريق يتكون من رجال دين وعلماء دين تقليديين منتمين إلى الكنيسة الغربية على اختلاف مذاهبها، ورجال دين يهود ينتمون إلى الحركات والمذاهب الدينية اليهودية المنتشرة في الغرب، وهذا الفريق من المستشرقين متدين وملتزم دينياً، ودراسته للإسلام وللقرآن دراسة مرتبطة بأهداف ومصالح ديانته، يهودية كانت أو نصرانية، ويغلب عليها الطابع الدفاعي الجدلي ضد الإسلام والقرآن الكريم .

أما الفريق الثاني، فيضم مجموعة من العلماء العلمانيين المنتمين إلى

المنارة للاستشارات

حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية في الجامعات، والمؤسسات، ومراكز البحوث الغربية، والذين طبقوا على الإسلام والقرآن الكريم المناهج العلمية المرتبطة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية متأثرين في دراسة الدين عموماً بمناهج البحث الاجتماعية، والأنثروبولوجية، والنفسية، والفلسفية، بالإضافة إلى ما تم تطويره من علوم دين مستقلة ، مثل علم مقارنة الأديان، وعلم تاريخ الأديان، وعلم الظاهرة الدينية لتكوّن مجموعة جديدة من علوم الدين إلى جانب علم الاجتماع الديني، وعلم أنثروبولوجيا الدين وتاريخ الدين، وعلم النفس الديني، وفلسفة الدين علاوة على الاهتمام بدراسة الأدب الديني، والأخلاق الدينية، أو بمعنى آخر، دراسة الدين في علاقته بالأدب، والفن، والأخلاق، وقد تأثر المستشرقون بكل هذه الاتجاهات العلمية التي تطورت لدراسة الدين وما يسمى بـ (الظاهرة الدينية) داخل إطار العلوم الإنسانية والاجتماعية. وقد استعاروا المنهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية لدراسة الإسلام والقرآن الكريم مقلدين في ذلك، وبشكل حرفي، التطبيق المنهجي لهذه العلوم في دراسة اليهودية والنصرانية، وفي دراسة النصوص الدينية المقدسة في اليهودية والنصرانية.

لعل من هذا المنطلق تأسس اتجاه المستشرقين في الدراسات القرآنية، وكان **إيفالد**، التلميذ المباشر لدى ساسي مع المستشرق "**فلايشر**" أول من طبق هذا المنهج المستمد من نقد العهد القديم على الدراسات الإسلامية والقرآنية. ولعل أهم إنجاز **إيفالد** في هذا الخصوص تأسيسه لمدرسة نقدية في الدراسات الإسلامية والقرآنية التي من أبرز أعضائها تلميذاه **تيودور نولدكه** Th. Nöldeke(1836–1930)**ويوليوسفلهاوزن**(1844–1918).

المنارة للاستشارات

ولا أريد الخوض في موضوع الدوافع الحقيقية التي حفزت الباحثين المستشرقين الى تناول القرآن الكريم بالبحث والدراسة والنقد ، فتلك قضية تتطلب منا بحثا مستقلا ، ولكنني أريد أن أشير إلى الظاهرة من زاوية الاهتمام بالجانب النقدي فحسب، فأقول: إن الدراسات القرآنية عند المستشرقين يغلب عليها طابع الاتجاه النقدي الذي أثر على كثير من محاولات فهم القرآن الكريم حيث نجد الغالبية العظمى من المستشرقين المهتمين بدراسة القرآن الكريم كان هدفها نقديا جدليا. وبسبب ذلك غاب السعي إلى تحقيق هدف فهم القرآن الكريم حيث نلاحظ هيمنة الاتجاه النقدي المتأثر بدراسات نقد العهد القديم والعهد الجديد. والحقيقة أن أخطر الدراسات القرآنية عند المستشرقين هي تلك التي طبق فيها المستشرقون هذه الاتجاهات النقدية على القرآن الكريم ، وهم يمثلون المدرسة النقدية الأساسية داخل الدراسات القرآنية، وتأثيرهم عليها كبير وخطير، حيث أصبحت كل الدراسات للقرآن الكريم عالة على نظرة **نولدكه** Nöldeke **وفلهاوزن وجولدتسيهر** المنقولة من نقد العهد القديم والمركزة على قضية المصادر وتاريخ النص، ولم يخدم عمل المستشرقين هذا القرآن الكريم على مستوى الدراسة المعجمية أو اللغوية ما عدا النزر القليل، إذ تجنبوا عمدا نقل الاهتمام المعجمي المعروف لديهم إلى مجال الدراسات القرآنية بالرغم من استخدام آيات من القرآن في تدريس اللغة العربية في الجامعات الغربية.

هذه الأنواع من المجالات والدراسات أهملت كلها ، مما أدى بالضرورة الى عدم فهم القرآن الكريم نتيجة عدم التعمق في دراسته فضلا عن إهمال الدرس القرآني والتوقف في دراسته عند ترجمة معانيه إلى اللغات

المنارة للاستشارات

الأوروبية دون التعمق في مضامينه ومفاهيمه وتحقيق صلة القرآن الكريم بالإسلام. وإلى جانب هذا الاتجاه هناك اتجاهان آخران في موضوعات دراساتهم للقرآن الكريم: أولهما الاتجاه التنصيري الذي يركز على الموضوعات المفيدة للتنصير وأهمها الدراسات من زوايا جدلية دفاعية خالصة.

والاتجاه الثاني هو الاتجاه المقارن الذي يقارن الموضوعات المشتركة بين القرآن الكريم والعهدين القديم والجديد، أو ينقل للمقارنة بين اليهودية والنصرانية والإسلام بهدف التدليل على شبه التأثير اليهودي النصراني على الإسلام، بالإضافة إلى محاولات التشويه للقرآن الكريم في بعض الدراسات القرآنية التي سعت إلى تغيير شكل القرآن الكريم من خلال إعادة ترتيب السور القرآنية ترتيبا تاريخيا، ومحاولة ترجمة القرآن الكريم شعرا [(1)] ناهيك عن محاولات التحريف والتلاعب بالنص القرآني وإحداث أشكال من التحريف والتبديل الشديدين فيه. مما ترتب عن هذه المحاولات ملاحظات كثيرة نلخصها فيما يلي:

– إن غالبية نقد القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية أدى الى غياب الفهم الذي يجب أن يسبق النقد ، وهذا ما لم يحدث في الدراسات الاستشراقية حول القرآن الكريم حيث هيمن القصد إلى النقد على محاولة الفهم، مما أدى الى نتيجة غير صادقة علميا ، لأنها لم تلتزم بالأمانة العلمية الساعية إلى فهم

---

[1] ينظر دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد "الكتاب المقدس" لمحمد خليفة حسن ، مجلة رسالة المشرق، جامعة القاهرة، 2003. ص:05

المنارة للاستشارات

الشيء قبل نقده. ومعلوم ان غلبة النقد على الفهم يكشف سوء النية ولا يؤدي إلى إثبات الحقيقة العلمية مما أدى إلى عدم فهم الإسلام الذي لا يمكن أن يعرف معرفة علمية جيدة إلا من خلال معرفة القرآن الكريم وفهمه .

إن عدم فهم القرآن الكريم يؤدي حتما إلى الفشل في فهم الإسلام. وخلفيتهم أن يحاولوا البرهنة على أن القرآن الكريم مأخوذ من المصادر اليهودية والنصرانية وليس دينا مستقلا تماما عن الديانتين السابقتين عليه.

ومما يدل على أهمية فهم القرآن الكريم قبل نقده أن قلة منهم ممن اهتموا بالدرس القرآني وتعمقوا فيه انتهى بهم الأمر إلى اتخاذ موقف معتدل من القرآن لا يخلو من الانبهار بالقرآن الكريم والتعاطف مع محتوياته حتى أن عددا كمنهم أعلنوا إسلامهم كنتيجة مباشرة للاتصال المباشر بالقرآن ودراسته والتعمق فيه. ومن هؤلاء **بروكهارت** (1784– 1817) الذي درس القرآن وتفقه في الدين الإسلامي واعتنقه عام 1809. وكذلك **بودلي** الذي آمن بسلامة العقيدة الإسلامية (1946) **وفريتس كرنكوي**Krenkow (1872–1952) الذي اعتنق الإسلام وسمى نفسه محمد سالم الكرنكوي، وله في الدراسات القرآنية تفسير ثلاثين سورة **لابن خالويه** (1936). وغيرهم ممن هداهم الله إلى الحق.

ولهذه الأسباب علينا نحن المسلمين أن نسعى إلى اتخاذ الإجراءات الكفيلة بالدفاع عن مقوماتنا الدينية ومنها:

المنارة للاستشارات

1 – دعم الدراسات القرآنية في الجامعات الغربية وذلك من خلال العمل على تشجيع فتح مجالات التكوين المتخصصة في الدراسات القرآنية في أهم الجامعات الغربية مع مراعاة التوزيع الجغرافي السليم لهذه الجامعات .

2 – تشجيع الاهتمام بالدراسات الإسلامية والقرآنية في العالم وفتح أقسام لدراسة الإسلام والقرآن الكريم على أن تكون دراسة القرآن الكريم فيها دراسة علمية موضوعية تسعى إلى تحقيق الفهم الصحيح للقرآن وللإسلام.

3 – متابعة الإصدارات العالمية حول القرآن الكريم، وجمعها، وتحليلها، ودراستها، وتقييمها، والرد عليها من خلال نشرها بالمجلات العلمية العالمية المعتمدة.

4 – تشجيع إقامة المؤتمرات، والندوات العلمية الدولية حول القرآن الكريم في داخل العالم الإسلامي وخارجه للتعريف بالقرآن الكريم ومفاهيمه، وذلك بالاتفاق والتنسيق مع الجامعات الإسلامية والعالمية ومن خلال الاتفاقيات العلمية المعترف بها بين الجامعات وبين مراكز البحوث المتخصصة في الدراسات الإسلامية.

5 – مواصلة العمل العلمي الجاد في ترجمات معاني القرآن الكريم إلى كل لغات العالم مع مراجعة الترجمات الموجودة وتقييمها، والتنويه إلى غير الصالح منها.

6 – العمل على مواجهة محاولات تحريف القرآن الكريم وذلك من خلال المتابعة العلمية الجادة لهذه المحاولات، والتعريف بها، والمتابعة القانونية

المنارة للاستشارات

لأصحابها، وفرض الرقابة الشديدة عليها، ومنع تداولها وانتشارها بكل الوسائل المشروعة. ([1])

7–تأسيس قواعد معلوماتية خاصة بالقرآن الكريم.

8 – التوسع في استخدام شبكة الإنترنت لنشر المعلومات والمواد السليمة الخاصة بالقرآن الكريم، وموضوعاته، وتفسيره، وترجمة معانيه إلى اللغات العالمية، والرد المختصر على الشبهات المثارة حوله من جانب المستشرقين والمنصّرين وغيرهم.

9 – تشجيع الدراسات المعجمية الخادمة للقرآن الكريم والميسرة لاستخدامه، والتعرف على موضوعاته، وتفسير ألفاظه ودلالاته الصحيحة.

وننوه في هذا المقام إلى ضرورة تنبيه الدارسين والنقاد إلى أثر القرآن في تربية الذوق العربي وصقله ومشاركته في قيام "طريقة عربية" معارضة لمذهب "البديع والبلاغة" المتأثر بأرسطو، لنتمكن من العودة الى عماد طريقة العرب في بعض الأصول التي تجمعت في دراسات القرآن والشعر والبيان السابقة وتمخضت عنها أفكار سخرت البلاغة لخدمة النقد ، على ألا نغفل القيم الدينية والأخلاقية التي تزخر بها الدراسات القرآنية...

وهكذا يمكن أن نقول بأن القرآن كان صاحب فضل لا ينكر في تربية الملكة النقدية عند العرب وتعهدها منذ نشأتها ، وتطورها في دراسات القرآن والنقد والبلاغة وكان لما امتاز به أسلوبه من روعة في التعبير وجمال في

[1] نشير على وجه الخصوص إلى الكتاب المزعوم (الفرقان الحق) الذي يمثل أعظم محاولة تحريف للقرآن الكريم في التاريخ الحديث بهدف تنصير المسلمين من خلال تقديم عقائد النصرانية في قالب قرآني، ونشر شبهات المستشرقين والمنصرين حول الإسلام والقرآن الكريم من خلال التلاعب بالنصوص القرآنية وتحريفها وتبديلها

المنارة للاستشارات

الأداء أكبر الأثر في مقاييس الأدب وموازينه وكان الشاهد من آياته الحكم والمرجع في فنون القول وضروب الأساليب. [1]

وهذه ظاهرة خاصة بالأدب العربي وحده لم تشاركه فيها أي من الآداب الأخرى لأنها لم تحو كتابا مثل القرآن. وكان لهذا نتائجه التي لم تعرف في أدب غير الأدب العربي ولا في نقد إلا في النقد العربي. ولذلك كان القرآن مميزا ومعينا لا غنى عنه في دراسات النقد العربي، لأنها منه استمدت ولا تزال ماء الحياة.

وفي ختام هذه الكلمة الموجزة لا يسعنا إلا أن نؤكد مرة أخرى أن هذه المحاولات تعد من أهم الخطوات التي خطتها الدراسات النقدية في توجيهها حيث انتقلت بها من الدراسة الشكلية المقصورة على مجرد الدرس إلى العناية بنواح أكثر شمولا وأوسع مجالا وحثت على الالتفات إلى التراث القديم في النقد ومحاولة دراسته وعرضه عرضا جديدا. تلك هي بعض الخطوط الكبرى لتوطيد الصلة وتطويرها بين الدراسات القرآنية ودراسات النقد الأدبي خلال العصور الخصبة من تاريخ الفكر العربي.

ولعل أهم ما نستطيع أن ننصف به هؤلاء العلماء هو الاعتراف بأن أبحاثهم أدت إلى نتائج كان لها أبلغ الأثر وأهمه في تقدم المعرفة النقدية. ومن هذه الآثار تصحيح وجهة النظر التي كانت سائدة الى وقت ما في دراسات

[1] ينظر، أثر القرآن في تطور النقد العربي المرجع السابق ص 375.

المنارة للاستشارات

النقد قبل أن يهتم الباحثون بتيار من أهم تياراتها ألا وهو أسلوب القرآن الكريم[1] .

[1] ينظر، مقدمة كتاب أثر القرآن في تطور النقد العربي ، المرجع السابق ، ص21.

المنارة للاستشارات